الوجوه البلاغية والبيانية التي استعان بها الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي

د. بلال عبود مهدي

جامعة سامراء .. كلية العلوم الاسلامية

ملخص البحث

اعتنى العلماء بعد القرن الثاني الهجري بالقرآن الكريم ، وأكثروا من دراسته ، فمنهم من اعتنى بالآيات الخاصة بالتشريع الإسلامي ، ومنهم من بحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم ليفسرها ، وذهب آخرون يبحثون في الإعجاز وسببه .هذه آيات يسيرات ذكرت فيها بعض الوجوه البلاغية وحللت هذه الآيات اسلوبياً قاصداً ذكر الوجوه البلاغية التي أخذ بها فقهاء الاسلام لتقرير حكم شرعي

المقدمة

كانت العرب أمة أمية لاتقرأ ولاتكتب ، ولاتملك من أدوات الثقافة والتحضر إلا نتفاً يسيرة وعدداً ممن يكتبون بالقلم يتجاوزون عدد الأصابع بقليل ، ولم تكن لهم من أدوات الحضارة والقراءة إلا الشعر الجاهلي الذي كانوا يهشون له ويتنادون به في الأمصار والأعصار ، ويفرحون ويطربون إذا ولد لهم شاعر ونبغ فيهم بليغ .وما إن نزل القرآن الكريم فسمعوه وفهموه إلا وقد لامس شغاف القلوب وعلقت به الأفئدة وتاقت له الروح فتسابقوا لفهم معانيه وإدراك مراميه وفهم بلاغته والإتصال بإعجازه وتدارسه على مر العصور وكر الدهور .لقد أصبح القرآن الكريم عندهم صنو الشعر بل أبلغ درجة وأسمى منزلة وأفصح بياناً ، إذ تناسوا والحال هذا شعرهم الذي كانوا يقضون به مآربهم ويدونون به تاريخهم وأقبلوا على هذا النص المعجز إقبال الوارد اللهفان على المورد العذب الفياض .وبعد الأعصر الثانية من الهجرة توارد العلماء على هذا الكتاب العزيز ، فمنهم من سبر غور نصه المعجز بتأنٍ وروية يتأمل نصوص التشريع ليقرّ بها حكماً شرعياً معيناً ، ومنهم من بحث عن معاني هذه الألفاظ قاصداً تفسير هذا الكتاب العزيز ، وراح آخرون يبحثون عن فلسفة الإعجاز فيه وبيان سبب ذلك الإعجاز . هذه تأملات بلاغية أسلوبية في بعض الآيات الكريمات ذكرت فيها بعض الوجوه البلاغية ثم حللت الآيات بأسلوبية متزنة متلمساً مواطن البلاغة والإشارات الأسلوبية التي أخذ فيها بها بعض فقهاء الإسلام لتقرير حكم شرعي وإسناد رأي فقهي أخذ به ذلك الفقيه

اسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

١ــ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦ (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ)

هذان حكمان شرعيان تضمنتهما هذه الآية الكريمة، الأول هو وجوب عبادة الله تعالى حق العبـــادة، والثاني النهي عن عبادة غيره معه تعالى.تأتي العبادةُ بمعنى الطاعة مع الخضوع والتـــذلل الكامـــل للمعبود : (ومعنى العبادةِ في اللغة: الطاعةُ مع الخضوعِ، ويقال: طريقٌ معبدٌ إذا كان مُذللاً بكثـــرةِ الوطءِ) [١] أما الإشراكُ فهو اتخاذ ندٍ لله تعالى: (الإشراكُ هو إثباتُ الشريكِ لله في الألوهيـــة) [٢]،

ويأتي الشرك بمعنى الكفر وبمعنى الشِرْكة (وشاركتُ فلاناً: صرتُ شريكَه.... والشِرْكُ: الكفرُ، وقد أشْرَكَ فلانٌ بالله فهو مُشرِكٌ) [٣]اعبدوا: فعلُ أمرٍ مبني على حذف النون، والواو: فاعلٌ، وفعلُ الأمر يراد به في أصل وضعه الوجوبُ فجاء فعلُ الأمر هنا على بابه وهو وجوبُ عبادةِ الله تعالى وحدَه وإفراده بها.في هذا التركيب القرآني الكريم الوجهُ البلاغي الموسوم بالوصل، إذْ وُصل بين الجملتين الإنشائيتين (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ) و (وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا)وُصل بينهما بالواو بجامع الاشتراك في الإنشائية، فالأمرُ في الجملة الأولى والنهي في الجملة الثانية كلاهما من أقسام الإنشاء، فوصل بينهما لهذا الجامع.واستعمل القرآنُ الكريمُ التركيبَ (وَٱعۡبُدُواْ) ولم يستعملْ مفرداتٍ أخرى تناظر هذا التركيب كالخضوع، والطاعة، والتذلل ؛ وذلك لأسرارٍ لغويةٍ بيانيةٍ يحملها جذر (عبد)، فالعبودية هي الطاعة للمحبوب مع التذللِ الكاملِ، والانكسار، وأسمى درجات الخضوع [٤]، فلا تقع هذه المعاني اللغوية على مفردات (الخضوع والتذلل) لأنّ الإنسانَ قد يخضع لظالمٍ تحت تأثيرِ القوة والسطوة، وقد يتذلل لمحبوبٍ ما تحت وطأة الحب، والعشق، والغرام لكنّه لا يسمى عبداً ولايطلق على صنيعه (العبودية) ؛ لأنّ العبودية بمعناها اللغوي والشرعي انفردت بالطاعة والخضوع المتناهي لله تعالى فلاتنصرفُ إلا للخالق جل وعلا المستحق لهذا الأوصاف، فهذه الصفةُ وبهذا التصور السامي لاتصلح أنْ تصرفَ إلا لمن بلغ الغاية في العظمة والنهاية في الكمال وهو الله تعالى.ومن اللفتات البيانية لهذه الآية الكريمة أنّ البيان القرآني جاء بلفظ الجلالة الظاهر (الله) مع فعلِ العبادة والأمر بها ولم يأتِ بصفةٍ من صفاته تعالى كالعزيز أو الجبار أو الخالق لأنّه لمّا كانت العبادةُ بهذا التصور العالي للخضوع والطاعة المتناهية للمعبود جيء بلفظ الجلالة الظاهر الصريح ليناسب مدلولَ العبادة الزاكي العالي وليربي في النفوس المؤمنة المهابة والجلالة لله حال عبادته تعالى ولتكونَ صفةُ العبودية خاصةً بالله تعالى فلايذهبُ ذهنُ المؤمن إلى تصورِ استحقاقِ آخر لهذه الصفة غير الله تعالى.

(وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا)جاء فعلُ النهي عن الإشراك بالله تعالى بصيغة المضارع المقرون ب (لا) الناهية، وهذا التركيبُ القرآني فيه دلالةٌ بيانيةٌ عظيمةٌ تتسقُ وتنسجمُ مع الحدث الجسيم المراد النهيَ عنه، فالفعلُ المضارعُ يدلّ في أصل وضعه على الحال والاستقبال [٥]، فإذا ما اقترنت به (لا) الناهية فالنهيَ ينصرف إلى ترك الحدث المنهي عنه حالاً ومآلاً، لذلك فالنهيُ عن الشرك لمّا جاء بهذه الصيغة البيانية العظيمة فإنّ ذلك يفيد أنّ الله تعالى نهى عن الشرك واتخاذ الندّ له تعالى في الحال وفي المستقبل، فلا يصح بحالٍ ولا يجوزأن يتخذَ لله نداً ولاشريكاً مدة دوام الإنسان حياً لأنّ ذلك من أعظم الكبائر وأفحش المنكرات، وورد النهي العظيم عن الإشراك بالله تعالى واتخاذ الند له تعالى بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أُنبئُكُم بأكبرِ الكبائرِ ثلاثاً، قالوا: بَلى يارسولَ الله، قال: الإشراكُ بالله وعقوقُ الوالدين....).[٦]نلحظ أنّ البيانَ القرآني قد قدّم الجارَ والمجرورَ (بِهِۦ)على

المفعول (شَيْـًٔا) وكان حقُه التأخيرَ في تركيب الكلم العربي وماذاك إلا لفائدةٍ بيانيةٍ كبيرةٍ هي العناية بهذا الأمر وهو عدم الإشراك بالله، بل وتعظيمُ شأنه ؛ لأنّ من دواعي تقديم ماحقه التأخيرُ هو الإهتمام ُبالمتقدم والعنايةُ بشأنه ولفتُ النظر له [٧] فلكون التوحيدِ وعدم الإشراك بالله من المسائل الكبيرة في الشريعة التي يبنى عليها اعتقادُ المسلم بل وتبنى عليها عبادته كلها فقد راعى البيان القرآني هذه الدلالات فقدم الجار والمجرور لمزيد الإعتناء وكبير الإهتمام.و جاء مفعول ُالنهي عن الإشراك (شَيْـًٔا)على سبيل التنكير، ولم يأتِ معرفةً، وفيه أسرارٌ بلاغيةٌ بيانيةٌ لمجيء الاسم نكرةً، فقد يراد بالتنكير العمومُ والشمولُ كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان /٣٤ ، أي عليمً بكل شيء كان في الماضي وكائن في الحال ومايكون في الاستقبال، فجاءت لفظةُ (عَلِيمٌ) نكرةً لقصد العموم والشمول، فيكون المعنى: لا تشركوا بالله أيَّ شيءٍ صنماً كان، أم بشراً، أم حيواناً [٨]، وقد يراد بتنكير المفعول التحقير، والتقليل من شأن النكرة كقوله تعالى﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾غافر/٣٩، فجاءت مفردةُ (مَتَٰعٌ) نكرةً بقصد تحقير أمر هذه الدنيا والتقليل من شأنها وأنّها لا تساوي شيئاً بجانب الدار الآخرة الدائمة السرمدية، فيكون تقدير الآية: لا تشركوا بالله شيئاً مهما كان حقيراً فإنه حقيرٌ بجانب عظمة الله تعالى [٩]وقد كان لأسلوب الوصل بين الجملتين ملحظ بلاغيٌ بيانيٌ رائعٌ، إذ إنّ عطفَ الجملة الثانية (وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا) وهي إنشائيةٌ على الجملة الأولى (وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ) وهي انشائيةٌ أيضاً مفادُه أنّهما في قوة جملة الحصر، فكأنّ البيانَ القرآني في هذا الوصل بين الجملتين كأنه قال: اعبدوا الله ولاتعبدوا شيئاً غيرَه، فهي في قوة جملة: (لاتعبدوا إلا الله) المفيدةُ للحصر والقصر وذلك من الأساليب العربية المعروفة عند العرب [١٠]، ثم في عطف عدم الإشراك بالله على الأمر بعبادته تعالى لأنّه لايُتصور عبادةُ الله تعالى بإخلاصٍ ونيةٍ صادقةٍ مع وجود الإشراك بالله فالعبادة ُالحقةُ لله وعدمُ الإشراك به قرينان لاينفكان حتى تصحّ العبادةُ وتكملُ وتقبلُ، فكان عطفُ الجملة على الثانية على الأولى بمثابة إبراز جانب الإخلاص في العبادة وتمحيصها لله تعالى [١١].إذن كان لأسلوب الوصل بين الجملتين أثرٌ كبيرٌ في إبراز قيمةٍ دلاليةٍ عظيمةٍ هي إخلاصُ العبادة لله وإزالةُ كلّ أقذاءِ الشرك من قلوب المؤمنين وهذا ما أفرزه أسلوبُ الوصل بين الجملتين

(وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) الإحسانُ: (هو فعلُ ما ينفع غيَره بحيث يصيرُ الغيرُ حسناً به كإطعام الطعام) [١٢]، وقد وجّه علماءُ النحو والبيان هذا التركيبَ القرآنيَّ الكريم توجيهاتٍ نحويةٍ وبلاغيةٍ عديدةٍ، فقالوا: إنّ (إِحْسَٰنًا)منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ تقديره (احسنوا بالوالدين إحساناً)[١٣] ثم قالوا إنّ الباءَ ضُمنتْ معنى (إلى) كما في قوله تعالى (وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ) يوسف /١٠٠، أي أحسن إليّ [١٤]، وقال آخرون إن الجارَ والمجرورَ (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ)متعلقٌ بالمصدر بعده، قدّم عليه بقصد الاهتمام بالوالدين،

والعناية بهما، والرعاية لهما، والسهر على مصالحهما ؛ لأنّهما أحقُّ مَنْ يُعتنى به لذلك قـدّمهما اللهُ تعالى في هذا الموطن على بقية الأصناف، وعطفهما أولاً على الأمر بتوحيده والنهي عن الإشراك به وماذاك إلا لما ذكرنا من وجوب برهما وتعاهد حوائجهما وأنّهما سببُ وجودِه لذلك نهـى الله تعـالى عن عقوقهما وإيخاس حقهما قال تعالى (فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا)الإسراء /٢٣، وجعل عليه الصلاة والسلام عقوقهما من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله [١٥]وقد يُراد بالباء أشهرُ معانيها وهو الإلصـاقُ [١٦]مثل قولنا: (المسمارُ بالباب) أي التصقَ به التصاقاً بحيث أصبحا كالكيان الواحد المتماسك، فهـذا المعنى العظيم ُوهذه الدلالة الكبرى للباء تُشعِر بإلصاق الإحسان بالوالدين وتجذره لهمـا مـن غيـر فاصل زمني يوحي بالبعد، فإرادةُ معنى (إلى) توحي بتطويل الغاية وابتعاد المكان ؛ لأنّ (إلى) تفيـد انتهاء الغاية كقولنا :(سافرتُ إلى بغدادَ) فيوحي حرف (إلى) ببعد المكان وطول الزمان حتى يصل إليه المسافر، أما معنى الإلصاق فإنّه يوحي برباطٍ ووشيجةٍ والتصاق تامٍ بالجزء الملتصق به فكـأنّ هذا المعنى العظيم يشفّ عن لصوق الوالدين بأولادهما فكانا كالجزء الواحـد، والجسـد الواحـد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى سائر الجسد لتلك الشكوى ؛ فكان معنى الإلصاق يوحي بضرورة الاعتنـاء بالأبوين، ورعايتهما، وعدم التأفف أمامها تبرماً لأن ذلك سبيلُ الوحشة لهما واقلاقُ الصفو عندهما.

لقد أشاع هذا التركيبُ القرآنيّ الكريمُ جواً من الأبوة الحانية وسحابة من الشفقة العالية العظيمة على هذين الأبوين الكبيرين الكريمين بعد أن ْمسّهما الكبرُ وداخلهما العجزُ ورمى بهما الشيب ُكلّ مرمى، فكانتْ وصية ُالقرآن الكريم بهما في غاية الوضوح وبأعلى درجات الفصاحة والبيـان فلـم يـداخل الوصيةَ بهما شيءٌ من المجاز ولا انبنى عليه بابٌ من أبواب الكناية بل هو بالحقيقة ملامسٌ وبالظاهر أعلن.

(وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ)اليُتم :هو فَقدُ الأبِ حالَ حاجة الطفل له، فاليتيم هـو (الصـغيرُ الذي فقد أباه) [١٧]، أما المسكين فهو مَنْ له مالٌ لا يكفيه هو وعيالُه (المسكينُ من يقع مالُه أوكسبُه موقعَها ولايكفيه) [١٨]، سُمي المسكينُ بهذا الاسم من السكون وهو عدمُ الحركة فكأنّه لفقره سكن في بيته ولم يبرحْه، أو كأنّه لفقره سكنَ إلى الناس لمساعدته[١٩].ونلحظ أنّ البيانَ القرآني قد قرن حرفَ الباء في قوله تعالى (وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ) ولم يقرنْه في سورة البقرة بقولـه تعـالى (وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ) البقرة /٨٣ وفي ذلك خصيصةٌ بيانيةٌ عظيمة تعود بالتشريف على هذه الأمة المحمدية ذلك أنّ الخطابَ في سورة البقرة إنّما كان موجهاً وخاصاً ببني إسرائيل فلم يقترن الباء بذلك التركيب الخاص بهم، أما في هذا الموطن فإنّ الخطابَ كان موجهاً للأمة الإسلامية فجيء بالباء بقصد المبالغة في الإعتناء بشؤون هذه الأمة وإرادة الخير لها وتوجيهها التوجيه الصحيح السـديد الـذي يوصـلها للخير والبر والتكاتف والتساند في فعل المعروف إذ هي خيرُ الأمم وأقربُها إلـى الآخـرة وأسـدّها

صنيعاً وأكثرُها أجراً فكان في اتصال الباء في هذه الآية ولم يتصلْ بآية البقرة لحصول هذه الإشارات والدلالة على هذه البركات.[٢٠]ثم جاء عطفُ (وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ) على الإحسان للوالدين، ومعلوم ضرورةً أنّ الوالدين هم مِنْ أقربِ القرابات، وأوصلِ الوشائج فيكون الوالدان قد دخلا ضمناً في مسمى القربى فيكون عطف القربى على الإحسان بالوالدين من باب عطف العام بعد الخاص الذي يُراد به تأكيدُ الاعتناء بالخاص، والحث عليه، وتبادر الاهتمام به كونُه ذكر مرتين، مرة على سبيل الخصوص وأخرى على سبيل العموم فيكون ذلك مراداً به التأكيد والعناية والاهتمام [٢١]، ثم إنّ البيانَ القرآن قد راعى المسائلَ الاجتماعية التي قد تحدثُ في المجتمع المسلم وأولاها عظيمَ العناية والرعاية فقدّم ما هو أولى بالرعاية وأدعى إلى الاهتمام وأوجبُ إلى الملاحظة والمعاينة فكان أنْ قدّم الإحسانَ إلى اليتامى والاعتناء بهم على المساكين وماذاك إلا لأسبابٍ اجتماعية نفسيةٍ أفرزتها الظروفُ واجتلبتها الأقدار فجاء تقديمُ اليتيم لأنّ اليتيمَ قد فقدَ معينَه وناصرَه فلم يعدْ يؤبه به ولايُعتنى بشأنه أو أنّه لفقد والده قد فقدَ الموجهَ له والمقومَ لأمره فربما أصبح شراً مستطيراً ووبالاً على المجتمع فيُفسدُ نفسَه ويفسد معه غيرَه فجاء تقديمُه في هذا الموطن على المسكين لمراعاة هذه الظروف الاجتماعية التي قد تعصفُ باليتيم وترديه المهالك مع الضرر البالغ بالمجتمع الذي قد يحدثه جنوح اليتيم، هذه المعاني والإشاراتُ قد لا تكون متحققةً في المسكين الذي لا تبلغ به الحاجةُ سوى إلى طلب المال لسد العوز الذي يعانيه فكان تقديمُ اليتيم أهمّ والاعتناء بشأنه أبلغ ولفت النظر إليه أعظم.[٢٢]

(وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ)الجار: هو المقاربُ في المسكن والذي يعرفُك وتعرفُه سُمي كذلك من المجاورة أي الملاصقة أو من الجوار بمعنى المساعدة والعون فكأنّه يعينُك وتعينُه وتساعدُه ويساعدُك [٢٣]، أما الجارُ ذو القربى فهو المجاورُ للشخص وتربطُه معه رابطةُ نسبٍ، وقريء (ذا القربى) بالنصب على الإختصاص أي: وأخصّ ذا القربى، وذلك لعظم حقه على الجار كونه جارُه الملاصق لمنزله ثم لقرابته النسبية فكان ذلك ادعى للإعتناء به وإعظام حقه [٢٤]، أما الجارُ الجُنُبُ فهو البعيدُ، مأخوذٌ من الجنابة بمعنى التباعد، ومنه الجُنُبُ وهو الذي أصابته جنابةٌ سمي كذلك كونه لايقرب الصلاة [٢٥] فهذا الجار البعيد له حق الجوار والرفق والصحبة الحسنة.

(وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ)أما الصاحبُ بالجنب: فهو الملازمُ للمرء سواءً أكانت الملازمةُ سفراً أوحضراً، فكانتْ له خصوصيةٌ في الذكر ومزيد اعتناءٍ كونُه يصاحب المرءَ ويلازمُه فكأنّه لاصقٌ بجنبه وطرفِ جسده لكثرة ملازمته له كالرفيق في السفر الذي لا يبرح يلازمُ صاحبَه، وطالب العلم الذي يجاور الشخصَ ويلازمُه في التحصيل والدرس، وصاحب العمل الشريك، فهؤلاء يُعتنى بهم ويُكرم جوارُهم ويُحسن إلى صحبتهم كونهم يلازمون المرءَ في حلّه وترحاله فكان

الإيصاءُ بهم والإحسانُ إليهم أقربَ للوفاء والمودة وطولِ الصحبة وحسن العشرة [٢٦]، أما (وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ)فهو الضيفُ النازلُ بالمسلمين، أو هو المسافرُ الغريبُ الذي أحوجته الظروفُ أنْ يمرّ ويحلّ بديار المسلمين [٢٧]، سمي المسافرُ بهذا الاسم لأنّه ملازمٌ للطريق فكأنّه ابنُه الملازم لأبيه[٢٨]، فهذا الصنفُ من الناس أوصى الله تعالى بهم وذكرهم في كتابه العزيز فهم مما ينبغي إكرامُهم والعنايةُ بهم، فالضيفُ يُكرم مادام نازلاً في بيتٍ من بيوت المسلمين حتى يقضي حاجتَه وتكملَ ضيافتُه ، والمسافرُ يُكرم ويُعان ولايُوبخ ولايُهان ويُعطى من مال الزكاة إن احتاج للمال مادام في بلاد المسلمين حتى يصل إلى مبتغاه، فهؤلاء جاءتْ وصيةُ الله تعالى بهم وضرورةُ إكرامهم والعناية بهم لأنّهم إما ملازمون للمسلم في بيئته ومحال نزوله وإما هم مارّون على سبيل المجاوزة والانتقال فهم أهلُ حاجةٍ وابناءُ ضرورةٍ فيحسنُ إليهم وتفرجُ عنهم كربُهم حتى يصلون إلى مبتغاهم.[٢٩]، أما مِلكُ اليمين فهم الأرقّاء يُحسن إليهم في مأكلهم ومشربهم وأنْ لا يكلفوا مالا يطيقون أو يحسن إليهم بالمال حتى يفْدوا أنفسَهم ويتخلصوا من الرق [٣٠]و مما سبق كله :استعمل القرآنُ الكريم التركيبَ (وَٱعْبُدُواْ) ولم يستعملْ مفرداتٍ مناظرةً لها لما لهذه المفردة من معانٍ لغويةٍ بيانية تدل على كمال الطاعة مع الخضوع التام والإنقياد العالي والتذلل بين يدي المعبود جل وعلا وهذه المعاني لاتتأتى لغير لهذه المفردة.جاء النهي عن الإشراك بالله تعالى مركباً من الفعل المضارع المقرون ب (لا) الناهية وهذا التركيبُ أبلغُ في الدلالة على النهي من التراكيب الأخرى المناظرة لها ذلك أنّه يقتضي النهيَ الدائمَ المستمرَ عن الفعل.جاءت مفردةُ (شَيْـًٔا) نكرةً وذلك إما لقصد الشمول والعموم أي لاتشركوا بالله أيّ شيءٍ كان، أو بقصد إرادة التحقير والتقليل من شأن المعبود مع الله والمعنى: لاتشركوا بالله شيئاً مهما كان حقيراً أو صغيراً لايؤبه به.جاء اسلوبُ الوصل في الآية محققاً غرضاً بلاغياً بيانياً مقصوداً وهو إفادةُ القصر والحصر، فعَطْفُ الجملة الثانية وهي انشائيةٌ على الجملة الأولى وهي إنشائيةٌ أيضاً قد أفاد قصرَ العبادة على الله تعالى وحصرها به تعالى فكأنّ البيانَ القرآني قد قال: اعبدوا الله وحده ولاتشركوا معه غيره.أمر اللهُ تعالى بالإحسان إلى الوالدين في أبلغِ صورةٍ وأكثرِها بياناً ونصاعةً حيث أُضمر فعلُ الإحسان وتخلصت مفردةُ (الوالدين) للإلتصاق بالمصدر فكأنّ البيانَ القرآني قد جعل الإحسانَ كلّه متجذراً في بر الوالدين والعناية بهما وإكرامهما.اعتنى القرآنُ الكريم بصلة الرحم وأوصى بها بني البشر وجاء صنيعُ الصلة بالرحم مقروناً بالإحسان إلى الوالدين لأهمية صلة الرحم في حياة المسلم حتى تتماسك الإسرةُ المسلمة وتتقوى الأواصرُ الإجتماعية في المجتمع المسلم.

أوصى القرآن الكريم المسلمين باليتامي ، والبرّ بهم، والإعتناءِ بشؤونهم لأنّهم قد فقدوا الناصرَ والمعزّ لهم فكان لابد من الوصاية بهم حتى لاينحرف اليتيمُ ويصبح آلةَ هدمٍ في جسد المجتمع الإسلامي.كانت وصيةُ القرآن الكريم بالجار واضحةً فلم يقصر القرآنُ الكريم الإعتناء بالجار القريب

في النسب أو السكن بل أوصى بمراعاة الجار الجنب وهو البعيد وذلك لأنّه يساكنك وتساكنه ويعرفك وتعرفه فكانت الوصية به مدعاةً للألفة والتحابب وحسن الجوار.أما الصاحبُ بالجنب فهو الذي يلازم المسلمَ في حلّه وترحاله سواء أكانت ملازمتُه له طلباً للعلم أم للكسب فهذا ممايجب تعاهده والإحسان إليه والإعتناء به لأنّه كظله الذي لايفارقه فلابدّ من الإحسان إليه وحسن صحبته.أما ابنُ السبيل فهو الضيفُ الزائر أو المسافر المستطرق فهؤلاء أوصى القرآن الكريم بهم لأنّهم محل حاجةٍ وضرورةٍ وتكريمٍ، فكان الإحسانُ إليهم دفعاً لغائلةٍ قد تعرض لهم وتهجم عليهم.إشاراتٌ بلاغيةٌ ودلالاتٌ لغويةٌ بيانيةٌ كان لها كبيرُ أثرٍ على اتساع مفهوم الحكم الشرعي وإعطائه صفة الديمومة والدوام مع إشاراتٍ وظلالٍ بيانيةٍ رائعةٍ أبانتْ بلا مواربة أنّ هذا التنزيلَ العزيزَ هو من عند الله تعالى خالق البشر وليس من صنع البشر.

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحج: ٢٦

التبوؤ: الحُلول بالمكان والإقامة فيه، وفيه معنى إصلاح المكان والعناية به : (بَوَأَ المكانَ: حلّه وأقامَ به... وقيل: تَبَوأه إذا أصلَحَه وهَيّأه، ويقال: تَبَوَأَ فلانٌ منزلاً إذا نظر إلى أحسنِ مايَرى وأشدّه استواءً وأمْكَنِه لمباءَته فاتّخَذَه) [٣١]، وفيه معنى الرجوع : (باءَ بإثمه يَبوءُ بَوْءاً وبَواءً إذا رجع به... والمُباءَة :المَرجِعُ إلى الشيء) [٣٢].ووُصل بين الجملتين (أَلَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا) و(وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ) لاشتراكهما في الإنشاء، فالجملةُ الأولى نهيٌ والثانية أمرٌ وكلاهما من أقسام الإنشاء.(إذ) اسمُ زمانٍ مبني على السكون في محل نصب ظرفٌ، وناصبه فعلٌ مقدرٌ تقديره :واذكر إذ بوأنا.. ومنهم مَنْ عدّه مفعولاً به [٣٣]، هذا الظرفُ يُضاف إلى الجملة الفعلية والاسمية على السواء، فإنْ أُضيف إلى الجمل الفعلية كان فيه معنى التجددِ والحدوث أي :اذكر دائماً ذلك الحدثَ الذي يبقى عالقاً في الذاكرة لأنّه من الأحداث العظيمة التي ينبغي أنْ تبقى خالدةً في الأذهان متجذرةً في العقول، ففي إضافة هذا الظرف إلى الجمل الفعلية عدولٌ بالتركيب القرآني كاملاً من معنى التذكر والعظة والإعتبارلمرةٍ واحدةٍ إلى معنى الاستمرار في الاتعاظ والاعتبار والمشاهدة الحركية المستمرة لذلك الحدث واستشفاف مواطن العبرة والعظة ، وهذا العدول إنّما يأتي ليصورَ الحدث تصويراً حالياً حاضراً كأنّه يحدث رأيَ العين، فتشاهده العينُ الباصرةُ ويحسّ به القلبُ المرهف الحيّ، فتكون صورةُ الحدث متجليةً والحضورُ الذهني موجوداً حتى لكأنّ المقطعَ القرآنيّ مشهدٌ حاضرٌفي زمن حاضر [٣٤]،ومنه قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة: ٣٠ أي أذكرْ ذلك الحدثُ العظيمُ الذي خاطب فيه رب العزة تبارك وتعالى الملائكة بهذا الخطاب العظيم.وقد استعمل البيان القرآني مفردةَ (بَوَّأْنَا)ولم يستعمل مفردةً مناظرة لها مثل (أنزلنا) لما للتبوُؤ من دلالاتٍ لغويةٍ بيانيةٍ عظيمةٍ

تصور عظمةَ البيت الحرام وقدسيته ومنزلته العظيمة عند الله تعالى، فالتبوؤ هو الإقامة بالمكان الصالح المهيأ مسبقاً والمعدّ لغرضٍ صالحٍ مناسب ، ثم إنّ فيه معنى العودة والرجوع، ومنه قوله تعالى (وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ) البقرة /٦١أي رجعوا بذلك، فلما كان مكانُ البيت صالحاً ومعظماً وله منزلةٌ عظيمةٌ في نفوس المؤمنين استعمل لها البيان القرآني مفردة (بَوَّأْنَا) أي أنزلناه وأسكناه مكاناً صالحاً معظماً لايعادله مكان ولايدانيه شرفٌ، فهو من أشرف البقاع وأكثرها صلاحاً وهي مما يرغب فيه الناس ويحبون السكن فيه [٣٥]، ثم إنّ في (بَوَّأْنَا) معنى العودة والرجوع، فالبيتُ الحرامُ مباءةٌ، أي مرجعٌ للناس يرجعون إليه بقصد طلب الثواب وإرادة الآخرة وتمحيص الذنوب، فلما كان البيت قد وضع للناس ليحجوه ويعتمروا فيه فهم يعودون إليه ويثوبون إليه دائماً فلايخلو وقت من حاجٍ أو معتمرٍ يقصد البيت الحرام بقصد النسك استعمل البيان القرآني لهذه المعاني والدلالات مفردة (بوأ) ولم يستعمل مفردة (أنزل) لأنها لاتدلّ على هذه المعاني مجتمعة [٣٦]، وعلى هذا التأويل تكون (اللام) في (لِإِبْرَٰهِيمَ) زائدةً للتوكيد أي: هيأنا وأعددنا لإبراهيم هذا المكان الطاهر الصالح [٣٧]، وذهب جمعٌ من العلماء أن (اللام)ههنا للتعليل فتكون (بَوَّأْنَا) بمعنى جعلنا، فالمفعول مضمرٌ تقديره: جعلنا لإبراهيم مكان البيت مبوأً للناس، ف (اللام) هنا جاءت على سبيل التشريف والتكريم لإبراهيم عليه السلام بمعنى أنّ هذه الكرامة كانت له، وعلى يديه أنزلوا هذا المنزل الكريم وجعلوا يحجونه [٣٨].

(أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا)ذكر جمعٌ من المفسرين أنّ الحرف (أنْ) وقع موقع التفسير ل (بَوَّأْنَا)، أو إنّ هنالك إضماراً تقديره: قائلين له لاتشرك بي شيئاً، ف (أنْ) مفسرةٌ للقول المضمر [٣٩]، أوقد تكون (أنْ) مصدريةً موصولةً بالنهي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي شيئاً [٤٠]، ولكون الشرك بالله من الكبائر العظام والحوادث الجسام جاء النهيُ عنه بصيغة المضارع المقرون ب(لا) الناهية وهذا التركيب القرآني الكريم يفيد النهي عن الشرك في كل زمانٍ وعلى أية حالٍ، ذلك أنّ الفعل المضارع لما كانت دلالته العظمى الشهيرة أنّه يفيد الحال والاستقبال، فلما دخلته (لا) الناهية فقد اشتركت مع الفعل في استمرار النهي عن الفعل المضارع الذي دخلت عليه فكأنّ دلالة التركيب تقول: لاتشرك بالله في زمان الناس هذا وفي كلّ زمانٍ ؛ لأنّ ذلك مدعاة للخسران والخيبة في الدنيا والآخرة، وهذه الدلالة للفعل المضارع مع (لا) الناهية تشابه دلالة (لا) النافية إذا دخلت على الفعل المضارع فإنها تمحض نفي الفعل وتجعله للاستمرار أي (كما أن المضارع المثبت يفيد استمرار الثبوت يجوز أن يفيد المنفي استمرار النفي)[٤١].ثم لحظتُ إنّ البيان القرآني قد قدم الجار والمجرور (بِى) على معمول الفعل (تُشْرِكْ) وهو(شَيْـًٔا) وكان حق هذا الجار والمجرور في النظم العربي أنْ يؤخَر عن معمول الفعل،

فلما قدم كان ذلك مدعاةً لاسترعاء النظر ولفت الحس البلاغي للقارئ لالتماس السر البلاغي في هذا التقديم، فمن أسباب تقديم ماحقه التأخير العناية بالمتقدم ولفت النظر إليه والاعتناء بشأنه ولأنّه هو المقصود بالكلام [٤٢]، فلما كانت إقامة توحيدِ الله تعالى ونفي الشرك عنه هي المقصود الأعظم من بعثة الرسل ومن جعل البيت مكاناً مقدساً يأتي إليه القصاد من كلّ مكانٍ لإقامة التوحيد وتجديد الدعوة ونفي الشرك قدم الجار والمجرور (بِي) على معمول الفعل.وفي تنكير المفعول به (شَيْـًٔا) ملحظٌ بيانيٌ عظيمٌ لإنّ من مقاصد تنكير المفعول وأغراضه الأساسية أنّه يفيد العموم والشمول في بابه، فأفاد تنكير (شَيْـًٔا) النهيَ عن أنواع الشرك جميعها صغيرِه وكبيرِه دقِه وجليله سواء أكان الذي يُشرك به إنسانٌ، أم حيوانٌ، أو طيرٌ، أو نباتٌ، فكل ما يُشرك به من دون الله مهما كان جنسه فهو حرامٌ منهيٌ عنه، ثم من دواعي تنكير الاسم وأغراضه الشهيرة هو التحقير، فإذا ماجاء الاسم منكراً في سياق يقتضي التقليل من شأن الاسم المنكر وبقصد تحقيره كان ذلك هو الغرض البلاغي المستلزم له، فلما كان الشيء المراد إشراكه بالله في العبادة وطلب العون منه ذليلاً حقيراً لاينتفع به ويؤبه به جيء بمفردة (شَيْـًٔا) نكرةً على سبيل التقليل والتحقير والتعيير.[٤٣]

(وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ)الطهارةُ هي التنزيه والتنظيف : (الطهارةُ: التنزهُ عن الأدناس ولو كانت معنويةً.... وشرعاً: النظافةُ المخصوصةُ المتنوعةُ إلى وضوءٍ وغسلٍ وتيممٍ وغسلِ البدن والثوب ونحوه) [٤٤].اشتمل هذا التركيبُ القرآني الشريف على وجهين بلاغيين هما الوصلُ والإيجازُ، إذ وُصل بين الجمل (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ) و (وَٱلْقَآئِمِينَ) والتقدير: وطهر بيتي للقائمين) فأُضمرَتْ جملةٌ كاملة من فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ مع وصلها بالجملة التي قبلها، ثم إنّ البيان القرآني لم يعطف (ٱلسُّجُودِ) على (وَٱلرُّكَّعِ)؛ لأنّهما كالشيء الواحد، فهما مختلفان لفظاً متفقان معنى وهو الخضوع لله تعالى. [٤٥](وَطَهِّرْ): فعلُ أمرٍ مبني على السكون، والفاعل مستترٌ عائدٌ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والمراد من لفظ الطهارة في هذا الموضع هو الطهارةُ الحسيةُ والمعنويةُ، فالطهارةُ الحسيةُ هي تنظيفُ البيت وتطهيرُه من الأوثان والأقذار والدماء التي كانت تسيل من الهدي والقرابين التي كانت تُذبح عند البيت، أما الطهارة المعنوية فهي خلوُباطن الزائر للبيت الحرام من الشرك وباقي الأمراض النفسية المعنوية والأدواء القلبية كالحسد والبغضاء والظلم وبث الرذائل [٤٦]، ويؤيد هذا التفسيرُ الواسع للتطهير أنّ معمولَ الفعل (طهر) وهو(الجار والمجرور) قد أُضمر، ومن دلالات إضمار المعمول إرادةُ العموم والشمول، فلوظهر المعمول فقيل (وطهر بيتي من الأوثان) لأصبح ذلك قيداً في ذلك المعمول لايتعداه، فلما أُضمر المعمولُ كان ذلك إيذاناً بإرادة العموم والشمول، فشمل التطهيرُ الطهارةَ الحسية والمعنوية، أما البيتُ، فالمقصود به البيت الحرام في مكة المكرمة لأنّه المتبادرُ من هذه اللفظة عند ورودها في سياق الحج والعمرة وزيارة بيت الله الحرام، ثم

إنّ لفظةَ البيت قد أُسندتْ إلى الضمير العائد إلى الرب تبارك وتعالى، فكان ذلك مؤذناً بالتشريف والتعظيم والتبجيل ؛ لأنّ كلّ ما يضاف إلى الرب جل وعلا فشأنُه التعظيم والتشريف والعناية والاهتمام.(الطائفون) هم الذين يطوفون حولَ البيت بقصد النسك أو هم الزائرون للبيت الطارئون من غير المقيمين، أما (القائمون) فهم المصلّون أو القائمون للدعاء في البيت الحرام، أو هم الذين يقيمون في البيت الحرام، أما (وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ) فهم المصلون.أما اللام في (لِلطَّآئِفِينَ) فهي إما للاختصاص أي خُصّ تطهير البيت الحرام لهؤلاء المذكورين، أوإنّ معنى اللام هو للاستحقاق أي إنّ هؤلاء المذكورين هم المستحقون لأنْ يُطهّر البيتُ لهم، ويُنظف حتى يقيموا شعائر الله تعالى على أفضل الوجوه وأزكاها [٤٧].ونلحظ إنّ مفردتي (لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ) قد وردتا مجموعتين جمعَ مذكر سالماً، ومن دلالات هذا الجمع البيانية أنّه يدلّ على القلة [٤٨]مع دلالته على الحدث أي الفعلية بصورة جليّة وإنْ كان اسماً لأنّ معنى الوصفية فيه قرّبَه من الفعل، فدلّ بذلك على الحدث كما يدلّ الفعل على الحدث، فقولنا (جاء المعلمون) فالمعنى أنّهم قلّة وليسوا بكثرة، ثم إنّ فيه دلالةً جليةً على الحدث المضمّن خلف مفردة (المعلمون) وهو التعليم، فجاءت مفردة (لِلطَّآئِفِينَ) جمعَ مذكرسالماً وصْفاً للحدث المتحرك الدؤوب وهو الطواف، ف (لِلطَّآئِفِينَ) ضُمنتْ معنى الفعل (يطوفون) فهي على ذلك أكثر صلةً والتصاقاً بفعل التطهير لأنّه كلما أحدث طوافاً جديداً كان ذلك باعثاً على التطهر من الذنوب وإمّحاء الخطايا وتساقط الإوزار [٤٩]، وكذا الحال مع مفردة (وَٱلْقَآئِمِينَ) فإنّ الفعلية متجذرةٌ فيها وهو فعل الدعاء، أو الصلاة على التفسير الآخر، فجيء بالمفردتين بصيغة جمع المذكر السالم لأنّه يقتربُ من الفعلية وهو إبراز الحدث المراد تصويره مع تضمنه معنى القلة التي هي أصلٌ في الجمع السالم بشقيه المذكر والمؤنث [٥٠]، أما مفردة (وَٱلرُّكَّعِ) على وزن (فُعّل) فهي جمعُ تكسيرٍ ل (راكع) وهذا الوزن يدلّ على معنى الحركات الظاهرة التي ترى بالعين ، ثم إنّ فيه دلالةً ظاهرةً على التكثير والمبالغة في الفعل، فلما كان عدد الذين يؤدون الصلاة في البيت الحرام كثيراً جداً، ولما كانت الصلاة من الأعمال الظاهرة ومن أجزائها الركوع فقد وُصف هذا الحدث العظيم بمفردة (وَٱلرُّكَّعِ) التي تحمل دلالات الكثرة مع إرادة الحدث الظاهر، أما (ٱلسُّجُودِ) فهو جمع (ساجد) جيء به على وزن المصادر مثل (قعود وخضوع) للإشارة إلى الفعل الأصلي وهو السجود الحقيقي، فهذا الجمع (ٱلسُّجُودِ) يراد به حقيقة السجود الظاهرالحقيقي مضمّناً معنى الخشوع ومافيه من دلالة طهارة الباطن، ثم هو يُراد به كثرة الساجدين الذين يتوافدون إلى البيت فيصلون فيه، فاختيار لفظة (ٱلسُّجُودِ) إنما جاءتْ لما تحمله هذه المفردة من هاتين الدلالتين اللتين لاتحملهما مفردة (سُجّد) جمع (ساجد) لأنّ (سُجّد) لايذهب معناها إلا إلى جمع الرجال الذين يمارسون السجود الظاهر المعروف، فلا دلالة في

هذا الجمع على الخشوع وطهارة الباطن من الأدواء والأوبئة النفسية التي تختلج النفس الإنسانية، قال تعالى (تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا) الفتح /٢٩، فلما كان السياق يدلّ على التطهير جيء بمفردة (ٱلسُّجُودِ) التي تحتمل طهارة الباطن وتضمن معها معنى السجود الحقيقي [٥١]، ثم لما كان الأمر بالتطهير في أطهر بقعة على وجه البسيطة وهو البيت الحرام جيء بمفردة (ٱلسُّجُودِ) لتضمنها معنى التطهير الباطن هو الخشوع مع تضمنها لنزع الأدواء والأرزاء النفسية والأمراض التي تختلج في القلوب كالغل والحسد والبغضاء، فكأنّ مفردة (ٱلسُّجُودِ) تشي بأنّ القائم الساجد في بيت الحرام حَريٌّ بـه نـزعَ أمراضـه النفسية وإزالة الإقذاء القلبية كالغل والحسد والشحناء لأنّ طهارة البيت الحرام وقدسيته توجب عليه علاج هذه الأدواء، والدعاء من الله تعالى أنْ يزيلها من قلبه كلياً، ومن دلالات هذا الجمع أيضاً أنّه يدلّ على الكثرة، والذي ظهر لي أنّ جمع المذكر السالم في (لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ) هو جمعُ قلةٍ ليس بإعتبار الأفراد الذين يطوفون أو يصلون، بل باعتبار أنّهم قلةٌ لل(وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ) أي المصلين، فالصلاة في البيت الحرام تُفعل وتُؤدى أكثرَ من باقي العبادات الأخرى فيه كالطواف والدعاء، فقد يأتي الزائر للبيت فيصلي كثيراً ولايطوف، وذلك كثير واضح، وإنْ طاف بالبيت فإنّه لايطوف أكثر من سبعة أشواط، أما الصلاة فإنّه قد يصلي عشرات الركعات ويسجد أضعافها في الزيارة الواحدة للبيت الحرام، ثم على تفسير (الطائفين) بأنّهم الطارئون للبيت، وتفسير (وَٱلۡقَآئِمِينَ) بأنّهم المقيمون في مكة، أو أنّهم الداعون في البيت نلحظ بأنّهم قلةٌ لكثرةِ المصلين الذين يؤدون الصلاةَ في البيت الحرام.ومما تقدم خَلصت إلى جملة نتائجَ هي :استعمل القرآن الكريم التركيبَ (بَوَّأۡنَا) ولم يستعمل (أنزلنا) وذلك لسرٍ بلاغيٍ عظيمٍ كامنٍ في جذرالفعل (بَوَأَ) وذلك أنّها تأتي بمعنى النزول بالمكان مع إصلاحه وتهيئته، ثم هي على معنى الرجوع إلى ذلك المكان، أما مفردة (أنزلنا) فلا تحوي هذه الدلالات والمعاني الرائعة.جاء استعمال البيان القرآني للظرف (إذ) استعمالاً دقيقاً ولمعنىً مقصودٍ، فهذا الظرف إذا دخل على الجملة الفعلية فإنّه يعطي معنى استرعاء النظر واستدعائه لأنّ مادخل عليه هذا الظرف هو حدثٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيمٌ يستدعي ذلك، ثم إنّ في استعماله مع الجملة الفعلية فكأنّه يستدعي الصورة الماضية والحدث السابق في مشهدٍ حاضرٍ مجسمٍ.يدلّ الفعلُ المضارعُ في أصل وضعه على الحال والاستقبال مع تجدد الحدث واستمراره، فإذا ماقترن الفعلُ المضارعُ ب(لا) الناهية أو النافية دلّ ذلك على استمرار النفي أو النهي وذلك بحسب السياق الذي يرد في جملة المضارع، فلهذا السر البياني استعمل البيان القرآني الفعلَ المضارعَ (تُشۡرِكۡ) مع (لا) الناهية لغرض استمرار وتجدد النهي عن الإشراك بالله. يثير أسلوب القصر معنىً بلاغياً مهماً هو العناية بالمتقدم ولفت النظر إليه والاهتمام بشأنه، لذلك فقد قدّم القرآن الكريم الجار والمجرور (بِي) لهذا

الغرض البياني المهم، ثم جاء تنكير (شَيْئًا) ليقرّر حقيقةً واضحةً هي تحريم الشرك ومنعه مهما كان ذلك الذي يُشرك به حقيراً وصغيراً.التطهيرُ هو التنزيهُ، وجاء الأمر بتطهير البيت مجرداً من معموله وهو الجار والمجرور، وذلك يثير وجهاً بيانياً هو إرادةُ العموم والشمول في بابه، فينطلق معنى التطهير إلى التطهير الحسي والمعنوي فكلّ معنى للتطهير داخل في حيز الأمر به.كان لإضافة البيت إلى الباري جلّ وعلا وإسناده إليه مما أضاف له مسحةَ تشريفٍ وتعظيمٍ وإجلالٍ، وذلك شأن كل مايضاف إلى الباري عز وجل فإنّه يصطبغ بصبغة العز والشرف والسؤدد والسمو العالي.إن إيثار النظم القرآني لمفردةٍ على أخرى جاء ليفصحَ عن أنّ هذه المفردة المختارة ماكان لينوب عنها تراكيب عديدةٌ وجملٌ كثيرة، وماذاك إلا لأنّ هذا البيانَ القرآني جاء من عند الباري جل وعلا، فأعجز هذا الكتاب البشر وسحر عقولهم فانقادوا له وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه.

الخاتمة :

هذه آيات يسيرات حاولت أن أسبر غورها العذب فتخلص لي منها نتائج أوجزها بالآتي :

١_ القرآن الكريم كتاب خالد لاتنقضي عجائبه ولايخلق على كثرة الرد باق مابقي الليل والنهار

٢_ لعلوم الشريعة ارتباط وشيج بعلوم العربية إذ لايستطيع المجتهد أن يستنبط حكماً فقهياً مالم تكن عنده أدوات الاستنباط وأولها العربية .

٣_ لايمكن للمفسر أن يفسر كلام الله تعالى ويصل إلى مراد النص الكريم إلا بمعرفة معاني ألفاظ هذا الكتاب العزيز ولايتم ذلك إلا بمعرفة علوم العربية وأولاها البلاغة.

٤_ وجدت أن الفقهاء قد استعانوا بعلوم البلاغة في استنباط الحكم الشرعي من دليله التفصيلي إذ كانوا يوازنون الأدلة الفقهية ويرجحون رأيهم باستنادهم إلى أحد الوجوه البلاغية والبيانية .

٥_ وجدت لمعاني النحو دور كبير في تقرير المعنى وإبرازه إلى العلن ، وكانت أغلب استعانة الفقهاء بهذا العلم لتقرير الحكم الشرعي . والله الموفق للصواب

فهرس المصادر والمراجع :

١- أحكام القرآن . أحمد بن علي الجصاص (٣٧٠ للهجرة) تح : محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان . د. ت .١٤٠٥ .

٢- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢ للهجرة) دار احياء التراث العربي، لبنان، د. ط، د.ت .

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥ للهجرة) تح: محمد بن عبد الله المرعشلي، دار احياء التراث العربي، لبنان، ط١، ١٩٩٨ .

٤- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم / دراسة بلاغية وأسلوبية . د. عدنان جاسم محمد الجميلي . مطبعة ديوان الوقف السني . العراق . ط١ . ٢٠٠٩ .

٥- الإيضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧ للهجرة) تح: د، مازن المبارك، دار النفائس، لبنان، ط٦، ١٩٩٦.

٦- بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي (٣٧٥ للهجرة) تح: علي محمد معوض وجماعة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦.

٧- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥للهجرة) تح : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، لبنان ، ط١ . ١٤٢٠.

٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (٧٩٤ للهجرة) ، قدم له وخرج أحاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.

٩- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، سورية،

١٠- بلاغة القرآن الكريم، دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، د، ظافر بن غرمان العمري، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ٢٠٠٨ .

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ للهجرة)، دار الكتب

١٢- التبيان في إعراب القرآن، عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦ للهجرة)، دار القدس، مصر،

١٣- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) . محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣للهجرة)، الدار التونسية للنشر – تونس ، د. ط . ١٩٨٤

١٤- تفسير الجلالين، جلال الدين أحمد المحلي (٨٦٤ للهجرة) و جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ للهجرة)، دار الحديث، مصر، ط١، د. ت.

١٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد رضا (١٣٥٤للهجرة) ،الهيئة المصرية

١٦- تفسير القرآن العظيم . عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم (٣٢٧للهجرة) تح : أسعد محمد الطيب . مكتبة نزار مصطفى الباز. السعودية ، ط١ ،١٤١٩.

١٧- التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري (١٢٢٥للهجرة)، وضع حواشيه وخرج آياته: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٧ .

١٨- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ للهجرة) تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ط ١، ١٩٧٥

١٩- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١ للهجرة) ، دار الكتب، مصر،

٢٠- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تح : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، لبنان .ط٣، ١٩٨٧

٢١- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١للهجرة) ، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٤ .
٢٢- الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، د، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط٢،
٢٣- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد (٣٢١ للهجرة) تح: د، رمزي بعلبكي، دار العلم
٢٤- الجنى الداني في حروف المعاني . الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩ للهجرة) تح : فخر الدين قباوة وزميله . دار الكتب العلمية . لبنان .ط١. ١٩٩٢
٢٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (٨٧٥للهجرة) تح : محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ط١ ،١٤١٨.
٢٦- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، مصطفى الدسوقي (١٢٣٠ للهجرة)، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧ .
٢٧- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي . عصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي (١١٩٥ للهجرة) ضبطه وخرج آياته : عبد الله محمود محمد . دار الكتب العلمية .لبنان . ط١.
٢٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي (٧٥٦للهجرة) تح: د، احمد الخراط، دار القلم، سورية، د،ط، د،ت .
٢٩- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ للهجرة) تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، السعودية، ط٣ ، ١٩٩٢.
٣٠- روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي البروسوي (١١٢٧ للهجرة) تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٣ .
٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (١٢٧٠للهجرة) تح : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ط١ .
٣٢- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د، ط ، د، ت .
٣٣- شرح المفصل . يعيش بن يعيش النحوي (٦٤٣ للهجرة) عالم الكتب . لبنان .د. ط . د.ت
٣٤- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تح: اميل بديع يعقوب وجماعة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٩.
٣٥- علوم البلاغة، احمد المراغي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٧.
٣٦- عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب)، أحمد بن عبد الله الشهاب الخفاجي (١٠٦٩ للهجرة) ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ، ١٩٩٧.
٣٧- غريب القرآن . عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦ للهجرة) تح : أحمد صقر . المكتبة

٣٨- فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧ للهجرة) وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ، ١٩٩٩.
٣٩- القاموس الفقهي، د، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، سوريا، ط٢، ١٩٩٣.
٤٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ للهجرة)، رتبه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية،
٤١- الكليات، ابو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (١٠٣٤ للهجرة) تح: عدنان درويش، دار الرسالة، لبنان، د، ط، د،ت .
٤٢- اللباب في علوم الكتاب ،عمر بن علي بن عادل (٧٧٥للهجرة)، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ،١٩٩٨.
٤٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٥٤٢ للهجرة) تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ، ١٩٩٢.
٤٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (٧١٠ للهجرة) تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، لبنان، ط١، ١٩٩٨ .
٤٥- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢للهجرة) تح: د، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧ .
٤٦- معاني الأبنية في العربية، د، فاضل صالح السامرائي، مطابع جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١.
٤٧- معاني القرآن وإعرابه، ابراهيم بن السري الزجاج (٣١١ للهجرة) عالم الكتب، لبنان، ط١ ،
٤٨- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧للهجرة) تح :محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، دار السرور، لبنان، د، ط ، د،ت .
٤٩- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٣ للهجرة) ضبطه وصححه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، ٢٠٠٣.
٥٠- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١للهجرة) تح : د محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، مصر ، ط١ ،١٩٨٤ .
٥١- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (٦٠٦ للهجرة)، دار احياء التراث العربي، لبنان، ط٣،
٥٢- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ، محمد صديق القِنَّوجي (١٣٠٧للهجرة) تح :محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د. ط ، ٢٠٠٣،
٥٣- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القرطبي المالكي (٤٣٧للهجرة)، تح: مجموعة

رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ، د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة

هوامش البحث

(١) تهذيب اللغة (عبد) ١٣٨/٢، وينظر: جمهرة اللغة (عبد) ٢٩٩/١

(٢) الكليات ١٢١/١

(٣) الصحاح (شرك) ١٥٩٣/٤

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٩٤/٢، التفسير المظهري ١٠٢/٢

(٥) الإيضاح في علل النحو ٨٦، بلاغة القرآن الكريم. دراسة في أسرار العدول في الفعل ١٥١

(٦) _صحيح البخاري ١٧٢/٣

(٧) ينظر: دلائل الإعجاز ١٠٧، الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم. دراسة بلاغية وأسلوبية ١٩٢

(٨) ينظر: روح المعاني ٢٨/٣، البلاغة العربية للميداني ٤٠٩/١

(٩) روح المعاني ٢٨/٣

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير ٤٨/٥

(١١) مفاتيح الغيب ٧٥/١٠

(١٢) الكليات ٥٢/١

(١٣) ينظر: معاني القرآن واعرابه ٥٠/٢، التبيان في اعراب القرآن ٨٤/١

(١٤) ينظر: روح البيان للبروسوي ٢٠٥/٢

(١٥) أحكام القرآن للجصاص ١٥٥/٣، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ١٧٠/١،

(١٦) تفسير المنار ٦٨/٥

(١٧) القاموس الفقهي ٣٩٢/١، ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ٣٤٦/١

(١٨) معجم مقاليد العلوم ٥١/١

(١٩) ينظر: تهذيب اللغة (سكن) ٤١/١٠

(٢٠) البحر المحيط ٦٣١/٣، الدر المصون ٦٧٥/٣

(٢١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٣٧٠/٦

(٢٢) المنار ٧٤/٥

(٢٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٠، تهذيب اللغة (جور) ١٢٠/١١

(٢٤) الكشاف ٥٠٩/١

(٢٥) غريب القرآن لابن قتيبة ١١١/١، المفردات في ألفاظ القرآن (جنب) ٢٠٦/١

(٢٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٧٤/٢، روح المعاني ٨٨/٣

(٢٧) معاني القرآن للفراء ٢٦٧/١، تفسيرابن أبي حاتم ٩٥٠/٣

(٢٨) ينظر :الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢٣٤/٢

(٢٩) ينظر: بحر العلوم ٣٠٥/١، تفسير الجلالين ١٠٧/١

(٣٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/٥

(٣١) تاج العروس (بوأ) ١٥٥/١

(٣٢) جمهرة اللغة (بوأ) ٢٢٩/١

(٣٣) ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٢١٩/١

(٣٤) ينظر: التحرير والتنوير٢٤٠/٨،

(٣٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٥٨/١٤، تاج العروس (بوأ) ١٥٥/١،

(٣٦) ينظر: الكشاف ١٥٢/٣، البحر المحيط ٥٠٠/٧، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ٤٧/١٣

(٣٧) ينظر: الدر المصون ٢٦١/٨

(٣٨) ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٦٧/٣، المحرر الوجيز ١١٧/٨،

(٣٩) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٣، التبيان في إعراب القرآن ٩٤٠/٢، مفاتيح الغيب ٢١٩/٢٣، مدارك التنزيل ٤٣٥/٢

(٤٠) ينظر: المحرر الوجيز ١٠٣/٦

(٤١) المطول ١٧١،

(٤٢) ينظر: الجملة العربية. تأليفها وأقسامها ٤٢

(٤٣) ينظر: علوم البلاغة للمراغي ١٢٨

(٤٤) الكليات ٥٨٢/١

(٤٥) ينظر: حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ٤٧/١٣

(٤٦) ينظر: جامع البيان ١٨١/١٠، إرشاد العقل السليم ١٠٣/٥، فتح البيان للقنوجي ٤٦٥/٤، روح المعاني ٢٩٩/١٧

(٤٧) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٩٦

(٤٨) معاني الأبنية في العربية ١٤٤

(٤٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢٥٠/٣

(٥٠) شرح المفصل ٢٥٠/٣

(٥١) ينظر: بدائع الفوائد ٦٥/١